محمد علي الحوماني
شاعرُ ثورةٍ وإصلاح

بقلم: د. مريم حمزة
أستاذة في الجامعة اللبنانية

تمهيـــد:

لقد رفد الجبل العاملي، على مرّ العصور، حركة الفكر والأدب، بكوكبــة مــن العلمــاء الأجلاء والأدباء المبرّزين الذين أثروا تلك الحركة بعطاءاتهم وأمدّوها بفيض مــن روحهــم وفكرهم، حتى غدوا منارات تضيء سماءنا، وترفع عنا حجب الجهالة العميــاء.. ولا يــزال التاريخ يسجّل، بأحرف من نور، أسماء الكثيرين منهم؛ نخصّ بالذكر، على سبيل المثــال، لا الحصر، حسن كامل الصباح في عالم الإختراع، والبهاء العاملي وأحمد رشيد رضا وسليمان ضاهر وعبد الحسين صادق ومحمد جابر آل صفا ومحمد علي الحوماني في عــالم التــأريخ والعلوم والأدب والشعر.

فمن هو الحوماني هذا...؟!

إنه واحد من أولئك الذين غصّ بهم الصرح العاملي، على رحبه... واحد من أولئك الذين لم يحظوا من حكوماتنا بالتقدير اللازم، فلم تلحظهم في مصاف المعدودين والبــارزين ممّــن أدرجت أسماءهم في مناهجها، ولم ترفع عنهم حجب الأزمان وظلمها، حتى غدا راسخاً فــي الأذهان أن لا أدباء في بلادنا، سوى من لمعت أسماؤهم، وأن لا أدب غير أدبهم ولا فكر غير فكرهم!

لذا أراني في هذه القراءة معنيّة بإزاحة الستار عن علم كبير من هؤلاء الأعلام، عنيت به محمد علي الحوماني. فمن هو الحوماني هذا..؟!

أهو الأديب الفذّ الذي يتدفق قلمه سيّالاً في الشعر، كما في النثر...؟!

أم هو الصحافي مؤسس المجلاّت، ومدبّج المقالات، وله في كل صحيفة مقال..؟!

أم هو المتمرّد الثائر... وله مع رجالات السياسة والإقطاع، صولات.. وجولات..؟!

أم تُراهُ" المصلح.. أم الإبن البارُّ لجبل عامل، ولبنان، والوطن العربي، يجهد في حمــل القضايا... ورعاية الشؤون... وفي بلسمة الهموم والشجون..؟!

أم هو كل هؤلاء.. علم كبير، وصاحب علم وفيــر، وأدب غزيــر... تتــاهز مؤلفاتــه العشرين.. لذا، فإن أخشى ما أخشاه أن أضيع أو أقصّر، فلا أستطيع الإحاطة به، فهو بحر بلا

ضفاف... شخصية متعددة المواهب والملامح... ماردٌ.. قدماه تتشبثّان بمسقط الـرأس فـي "حاروف"... ورأسه يطاول محطّ الرحال في ما وراء بحر الظلمات!

وعليه، فإنني أستميح القارئ عذراً، كما أستميح الشاعر عذراً، لأنني لن أتمكّن في هـذه القراءة السريعة.. المتواضعة، من الإحاطة بأدبه، ولا الوقوف على جميع المحطات الهامة في شعره، وما أكثرها...! بل سأكتفي منها بإضاءات على جوانب ناقدة وجريئة في أدبه، محاولةً أن أميط اللثام عن الثورة والإصلاح في شعره.

لذا، أراني أبدأ بإعادة السؤال: من هو هذا الأديب..!؟!

حياته ونشاطه:

إنه أبو الرضا العلي محمد بن أمين، المعروف بالحوماني[1]، أبصر النور عام 1896[2]، في حاروف.. قضاء النبطية. وعاش في كنف أبٍ جليل وأخ فقيه، فتتلمذ عليهما، وعنهما أخذ مبادئ الخط والقراءة. ثم أدخل كتّاب القرية، حيث قرأ جزء عمَّ، ليقرأ بعد ذلك "قطر النـدى لابن هشام"، على يد السيد جواد فحص في جبشيت[3]، وإذ أظهر الصبيّ تفوقاً على أقرانـه، أدخله أبوه المدرسة الحميدية[4] في النبطية، حيث درس النحو في "ألفية ابن مالك". وفي تلـك المدرسة كانت باكورة شعره وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره.

وبعدها أخذ الفتى يتردد على العلاّمة السيد محسن الأمين[5] في شقرا، ليدرس عليه علوم اللسان وبعض نظريات المنطق[6]. وفي عام 1922، طلب العلم في النجف، حيث درس بعض مبادئ الفقه والأصول والبيان والمنطق. بيد أنه ترك الدراسة هناك بعد سنتين، لأسباب تكثـر حولها التأويلات والاجتهادات.

ويبدو أن شاعرنا لم يقرّ له قرار، بل كان دائم التغيير والتنويع؛ فبعـد النجـف دخـل الجامعة العلمية في دمشق، حيث نال شهادة ثانوية خوّلته الدخول إلى جامعة لنـدن لدراسـة الأدب الانكليزي، ولكنه كالعادة، سرعان ما قفل راجعاً بعد أشهر، متوثباً لارتحـال جديـد. وهكذا خارطة متعددة الالتواءات والتعاريج، تنتهي بالعودة إلى الوطن بعد تحقيـق خطـوات على طريق التكوّن الثقافي والأدبي.

شاعرنا دائم الترحال والتجوال، إنه ذلك الرحّالة الذي شرّق حتى أشرف على الصـين، وغرّب حتى هبط بلاد السكسون، ثم جال في القارة الافريقية يجوب قطراً ويغادر قطراً، فإذا أمعن في غربته خاض بحر الظلمات إلى أميركا[7].

بيدَ أن أسفاره لم تكن ذات طبيعة واحدة، ولا ذات هدف واحد، بل إن بواعثها لـم تكـن واحدة، فهي طوعيّة حيناً، وقسرية حيناً آخر.

أما الطوعية، فأبرزها رحلاته المتكررة إلى القارة الأميركية، مرشداً روحياً للجالية اللبننية مرة[8]، وداعياً من دعاة القومية العربية مرة[9]، وساعياً لدعم مشاريعه الإصلاحية مرة أخرى[10]، وكذلك هي زياراته المتتالية للمملكة العربية السعودية[11].

وأما القسرية فأبرزها رحيله إلى الأردن منفياً من قبل الاحتلال الفرنسي عام 1925[12]، وفراره إلى بغداد عام 1945 أثر صدور ديوانه الناقد "فلان"، الذي يهاجم فيه سائر أجهزة الحكم في الدولة اللبنانية[13]، ثم لجوؤه إلى مصر ليمكث فيها عشر سنوات متتاليات.

أما نشاطاته فمتنوعة مزدحمة، يترك كل منها بصمات واضحة في حياته وأدبه. نبدأها بالتدريس الذي زاوله في لبنان كما في خارجه، إذ تولى هذه المهنة في مدرسة قريته بادئ ذي بدء[14]، ومن ثمّ في مدرسة شقرا[15]، وبعدها في المدرسة الأميرية في النبطية، كما تولى تدريس مادة الأدب العربي في "كلية التربية والتعليم" في طرابلس الشام[16]. وفي الخارج تولى التدريس في كل من إربد والسلط في الأردن، كما في "الجامعة العلمية" في دمشق[17].

وفي مجال الصحافة، نشير إلى أن الحوماني قد أسس مجلة العروبة عام 1935[18]، وجعلها منبراً لبث آرائه وإعلان مواقفه، كما عمل مع بعض المفكرين[19]، على إصدار مجلة الأمالي، وبعدها مجلة "مع الناس" عام 1947، وكثيرة هي الصحف اللبنانية والعربية التي نعمت بقصائده ومقالاته[20].

أما نشاطه الأدبي، فقد جاوز كل نشاط. ولعلّ العوامل التي أسهمت في تكوين شخصيته الأدبية تنحصر في ثلاثة:

أولها: عامل أسري؛ فلقد فتح الصبي عينيه في بيت معنيّ بالأدب والمعرفة، يتطلع إليه أهل القرية بإجلال واحترام، فيجتمعون فيه ليلاً في المناسبات،حتى إذا انفضّ العامة منهم، عمرَ المجلس بالخاصة من الأدباء والشعراء يستمرون مع أخوة الشاعر في مطارحة الأدب ومساجلة الشعر، حتى ساعات متأخرة من الليل[21]. لقد أولع الصبي منذ صغره بالشعر، وأعجب بالشعراء العامليين، بحيث كان يطمح لأن يكون في مصافهم، الأمر الذي جعله يطلب إلى أبيه أن يهديه السبيل التي توصله إلى تلك المنزلة، فيشير الأب عليه بأن يكثر من حفظه لأشعار العرب[22]. وإذ لم تكن تلك الأشعار تعني في المحيط العاملي سوى أشعار الفحول من المتقدمين، أدّى بنا ذلك إلى الحديث عن **العامل الثاني،** ألا وهو عامل البيئة التي فيها نشأ الشاعر وتأثر، عنيت الجبل العاملي الذي كانت له خصوصياته التي جعلت حركة الأدب فيه لا تخبو، مغترفة من التراث الشيعي بشكل عام، ومن معين النجف بشكل خاص، على الرغم من جفاف الحركة الأدبية العربية[23] في عصور ما يسمى بالانحطاط، فما إن كانت بدايات النهضة ولم يجد الشاعر العربي عموماً والعاملي خصوصاً في ماضيه القريب، ولا في حاضره ما يكفيه أو يعينه على النهوض من كبوته، ارتدّ إلى القديم، إلى عصور الازدهار

الأدبي، يغترف من معينها، ويتأثر خطى أدبائها، ويبالغ أحياناً، بحيث لم يعد الشعر حينها، برأي البعض، إلا تقليداً ومحاكاةً لما جاء به الأسلاف، أو إحياءً واستشرافاً لمرحلة جديدة، كما يرى البعض الآخر.

أما العامل الثالث الذي كان له دور الإسهام في توجيه شاعرنا، كما في توجيه معظم الشعراء العامليين، فهو الرحلات العلمية الدينية، ولا سيما الرحلة إلى النجف، حيث يتأثر الطلاب العامليون هناك، ولا شك، بمعطيات الثقافة النجفية، بما تيسّر للطالب الطموح من الاطلاع على التراث، عبر دراسة الآداب العربية والعلوم الإسلامية[24]. وإذا عرفنا أن الحركة الأدبية في جبل عامل قامت، وفي معظم العصور، على أكتاف رجال الدين، تبين لنا ذلك الأثر المزدوج الذي خلّفته الثقافة النجفية في أدب شاعرنا: أثر مباشر مسّهُ، كما مسّ غيره من طلبة العلم، عندما كان طالباً في النجف، وآخر غير مباشر تسرّب إليه عبر الأدباء من العلماء العامليين الذين عايشهم في موطنه جبل عامل. والجدير بالذكر أن دائرة هذا الأثر توسّعت، فجاوزت إطار الجامعة النجفية، بكل ما تعنيه من التراث الديني، لتطاول المجتمع العراقي بأسره، حيث كان يتولّد، من حين لآخر، احتكاك بين الحوماني وبعض الشعراء العراقيين، ولا سيما في جلسات الشاي التي كانت تستغل في أكثر الأحيان للمناقشات والمطارحات الأدبية[25].

إن هذه العوامل مجتمعة كوّنت لدى الشاعر عبقرية فذة وشاعرية فياضة، أتت أُكُلها ثماراً طيبة، هي ما يناهز العشرين مؤلفاً بين شعر ونثر؛ فمن الدواوين: "ديوان الحوماني" الصادر 1927، و "نقد السائس والمسوس"[26] 1928، و "القنابل" 1930، و "حواء" 1943، و "فلان" 1945[27]، و "النخيل" 1953، و "أنت أنت" 1954، و "معلقات العصر" 1960.

أما في النثر، فهناك: "وحي الرافدين" 1944، و "بين النهرين" 1946، و "مع الناس" 1948، و "بلاسم" 1950، و "الأصفياء" 1955، و "دين وتمدين" 1958[28]؛ هذا عدا مجلة العروبة التي أسسها عام 1934، وعدا المقالات والخطب التي ألقاها في المؤتمرات، وبعض القصص والمخطوطات التي لم تنشر، وبعض المؤلفات التي وردت أسماؤها دون أن نتمكن من العثور عليها.

شعره السياسي:

أما على الصعيد السياسي والاجتماعي، وهو موضوع هذا البحث، فقد كانت لشاعرنا مع السياسة صولات وجولات، ومع المجتمع شؤون وشجون، حتى غدت أمور السياسة والمجتمع جزءاً من روحه وخاطره، وحتى لكأن نفسه باتت تتأجج فتفيض شعراً سياسياً ثائراً تارة، وشعراً اجتماعياً إصلاحياً تارةً أخرى؛ إذ أن الواقع العاملي بخاصة، واللبناني والعربي بعامة،

كان أيام شاعرنا حافلاً بالمآسي والأحداث الجسام التي شغلت الكثيرين من الأدباء والمفكرين، وشكلت تربة خصبة يستمدون منها موضوعاتهم، فتعالت أصواتهم، وارتفعت صيحاتهم، منددة بالظلم والاستبداد مرة، وعارضة ذلك عرضاً مؤسفاً للحال مرة، وثائرة متمردة مرة أخـــرى؛ ذلك أن الظروف والخصوصيات قد تقوّي اتجاهاً عند شاعر، وتضعفه أو تكبته عنـــد شـــاعر آخر. ويبدو أن الحوماني كانت له ظروفه وخصوصياته التي جعلته يقف موقفاً لافتاً من ذلك الواقع الأليم، فينذر له حيزاً كبيراً من حياته، ويكرّس له جانباً مهماً في أدبه.

أما **أولى** هذه الظروف، فكان الفقر الشديد الذي جثم على صدر الشاعر منـــذ طفولتـــه، ولعلّ **ثانيها** ما غذته، في نفس الفتى، المدرسة الحميدية في النبطية، من مقارعة للظلم، وعدم استكانة أمام الجور والطغيان. أضف إلى ذلك ما رآه، بأم العين، من صور البؤس والإهمـــال والتخلف والغبن والحرمان والظلم والاستبداد مما تناوله العديدون من المفكـــرين والشـــعراء أمثال الشيخ محمد حسين شمس الدين الذي يقول:

ســـــمعاً فعامــــل خطبـــــه جلـــــل يكفيه عن تفصيله الجملَ فقل الســـلام

ناخت على الجبـــل الخطـــوب ضـــحىً عليـــــــك يـــــــا جبـــــــــلَ[29]

أو ما قاله محمد جابر آل صفا:

إذا جئـــت القـــرى ألفيـــت فيهـــا وطـــيس الجـــور يتّقـــد اتّقـــادا[30]

وتنقل مجلة العروبة صوراً من ذلك، كتلك التي جاءت على لسان أحد العامليين، وهـــو يصف المظالم المحدقة بهم من كل جانب: "... لقد قتلونا مادياً ومعنوياً، قتلهم الله، فاســـتعانوا علينا بالحكومة، واستعانت بهم الحكومة علينا، فأصبحنا كالنعجة بين قصابين، لا ملاجئ، ولا مدارس، ولا معاهد، ولا... ولا... ولا..." [31]، مع ما تحمله هذه اللاءات الثلاث من الشعور بالغبن والإهمال، ومع ما تصوره من شتى مظاهر الفقر والتخلف والاستعداء. ولا يخفى عن بالنا أن الحوماني لم يكن أديباً شاعراً فحسب، بل كان، إلى ذلك، صحافياً وصاحب مجلة، بما للصحافة من عين ناقدة، نافذة، ولسان بارع لاذع، وقلم جريء ساخر، يضـــع النقـــاط علـــى الحروف والأصابع على الأوجاع والجروح.

لعلّ الحوماني هذا، صحافياً وأديباً وشاعراً، كان في طليعة من ثاروا على ذلك الواقـــع الأليم، بل لعلّه كان من أجرأ الذين وقفوا في وجه الظلم والتسلط والقهر، والذين عرفوا مكمن العلة والداء؛ لقد "صدمت الأيام صدره حنقاً على شعبه البائس.. الذي تمثل لديه... أسماكاً في

شبك العمائم والزعامات"[32]، وهالته تلك الهوة التي تفصل بين "الزارع والزعيم"، وآلمته خيانة بعض تلك الزعامات وتواطؤها مع العدو، فإذا به ينتفض ثورة لا تستكين؛ يواجه بقلمه الصحفي حيناً، وبفيضه الشعري حينا، رجال الإقطاع السياسي، ويشنها عليهم حرباً شعواء، لا هوادة فيها ولا لين، بدءاً بالزعيم، رأس الهرم، وانتهاءً بالرمز الأصغر، الذي قد يكون مختاراً، أو ناطوراً، أو مفتاحاً انتخابياً، مروراً بكل أدوات السلطة الإقطاعية ورموزها.

ويبدو أن جذوة تلك الثورة لم تكن وليدة الحقبة التي مارس فيها الحوماني عمله الصحافي في الثلاثينات، ولا وليدة الفترة التي صدر فيها ديوان "فلان" في الأربعينات، إنما كانت لها جذور تعود إلى العشرينات، وتحديداً إلى ديوانه "نقد السائس والمسوس" الصادر عام 1928، والذي يتمحور حول موضوعات نقدية سياسية واجتماعية، بيد أن ذلك النقد لم يكن بعدُ، يحمل روح ثورة حقيقية، ذلك أنه كان ولا شك، يفتقر إلى النضج السياسي والفني، فيمسّ الموضوع مسّاً خارجياً دون أن يستطيع النفاذ إلى جوهر القضية، أو قل دون أن يتمكن من النفاذ بك إلى ذلك الجوهر، أو أن يجعلك تتعاطف معه فتحب ما يحب وتكره ما يكره، وتطالب بما يطالب، كما هو الحال في ديوانه "فلان" الصادر عام 1945، والذي يشكل ثورة حقيقية على مجمل النظام السياسي القائم آنذاك، توازيها ثورة فنية، من أبرز معالمها أحادية الموضوع؛ ذلك أن الشاعر قصر الديوان على موضوع واحد، هو نقد النظام السياسي، ولعله خطا بذلك خطوة فريدة، لم يسبق لشاعر معاصر له، في جبل عامل على الأقل، أن خطا خطوة مماثلة، بل جلّ الذين تناولوا هذا الموضوع، على كثرتهم في الجبل العاملي، تناولوه في قصائد متفرقة مبثوثة في دواوينهم الشعرية.

إن الشرارة الأولى في ثورة الحوماني انطلقت من الجبل العاملي، لتطال أولئك الذين وجد فيهم الشاعر أعداء لذلك الجبل، ولتطال سلطة الإقطاع السياسي المتحكمة برقاب العباد. لقد حاول أن يدكّ هذه السلطة عن طريق خلخلة مقوماتها وتفنيد سيئاتها، مبتدئاً، وبكثير من السخرية المرّة، بالمقومات التي تجعل من الشخص زعيماً على البلاد؛ فمن أراد أن يكون زعيماً فما عليه إلا أن يتجرّد من العلم والمعرفة، وأن يستخلص لنفسه عصابة ممن لا يبصرون شيئاً ولا يفقهون، وأن يحمل مسدساً، وينفخ الصدر، ويقرنب الشاربين:

أيها الأعزل هل ترغب في أن تتزعَّمْ

قرنب الشارب واقعنس وشنخر وتعرَّمْ

واحمل "الفرد" على جنبك، و "الفرد" مدمدمْ

ثم جرّد عصبة أعقلها أعمه أبكمْ

لقب الأخلاق والعلم على الحكم محرَّمْ[33]

ثم يتناول مسلك هؤلاء الزعماء، وعلاقتهم بأبناء شعبهم، فإذا هم نفعيون وصــوليون، عبّــاد للمال والنفوذ والأهواء، نسوا مصالح شعبهم المسكين، بل ابتزّوا أموالــه وهضــموا حقوقــه وتركوه يتضوّر جوعاً، ويرزح تحت أعباء الفقر، وأصبح الحكم لديهم وسيلة لملء الجيــوب وانتفاخ الكروش:

وذي كــــرشٍ إن مشــــى ســـبّحت   لديه الحصــى ولــه الطــود خــرّ[34]

لقد روّجوا للفساد وضربوا بالقيم وبالدين عرض الحائط، بحيث عاد الشاعر يستذكر فيهم عهد الوليد بن يزيد، عهد الفسق والفجور:

عــاد عهــد الوليــد فينــا جديــداَ   أوَ مــا تبصــر الولائــد تشــدو

أصــبحت بيننــا الزعامـــة زقّــاَ   والمــوالي تــروح فيــه وتغــدو[35]

وإذا كان الصلف والاستهتار عنوان زعامتنا، فمن الطبيعي إذاً، أن ينظر هؤلاء الزعماء إلى أبناء الشعب من عليائهم بعين الاحتقار، على أنهم همج رعاع، لا يفهمون إلا لغة التأنيب والتوبيخ، ولطالما حفل الجبل العاملي بقصص وأخبار من هذا القبيل! وما همّ هؤلاء الزعماء إن ضحوا بأبناء الشعب من أجل تكريس زعامتهم وديمومتها! فهؤلاء لم يُخلقوا إلا لتمجيــدهم والتسبيح لهم! وما المشكلة في أن يقسموا الناس إلى كتل وأحزاب، يعمل كل منها لحساب هذا الزعيم أو ذاك:

ألكــلّ رهــطٍ فــي الســماء شــريعة   ولكــــل ربٍّ مــــنهم أتبـــاع؟[36]

ويعتصر الألم صدر الشاعر وهو يرى أبناء جبله، يتمزقون ويتناحرون، هذا ينضــوي تحت لواء "حزب الطلائع"، وذاك يدين بمبادئ "حزب النهضة"، فتتأصل العداوات، وتتغــذى الأحقاد، وتزهق الأرواح في سبيل هذا الزعيم أو ذاك! ويطفح الكيل عندما يــرى أن هــؤلاء الزعماء يتواطأون مع المستعمر ضد أبناء شعبهم، فيعلنها عليهم حرباً شعواء، كانت أشــعار دواوينه ومقالات مجلته مسرحاً لها، وها هو يهدد ويتوعد:

فــــدعهم يعيثــــوا بأوطاننــــا   لنــا ولهــم فــي غــد موقــف[37]

وإذا كان الحوماني قد اتخذ القلم وسيلة لحملته ضد الإقطاع، فقد كان لهذا الإقطاع أسلوب آخر في الرد، لا يمتّ إلى الحرف بصلة؛ لقد كانت العصا سبيلهم للاقتصاص منه، فقد انهالوا عليه ضرباً مبرحاً "بالعصي والنبابيت" في صيدا، وبتغطية، كما يقول الحوماني نفسه، من المسؤولين الفرنسيين هناك، لذا وجّه بعد الحادث برقيتين: الأولى للمفوض السامي "الكونت دي مارتيل"، ومما جاء فيها: "... لا تحسب يا سيدي الكونت أن في بلادك فقط شعباً حياً يمعن في تنمية أدمغة رجاله للتفكير، وتنمية أناملهم للتحرير ففي بلادنا الآمنة بوجودكم فيها، أيضاً شعب يجتهد في تنمية أدمغة رجاله وأناملهم... إن أدمغة مفكري قومك وأناملهم تتضخم ببطء وخلال عشرات السنين تحت سماء الثقافة العالمية الحرة، وأما أدمغتنا وأناملنا فتتضخم بسرعة فائقة.. تحت العصي والنبابيت..."[38]. كما وجّه البرقية الثانية إلى "بتشكوف" الحاكم الإداري من قبل المفوضية الفرنسية في صيدا، والذي كان مجتمعاً معه قبل الاعتداء مباشرة، وفيها يقول: "... قد لا يؤلمني أن أُضرَب ويُشَجّ رأسي وتُكسَر أناملي في أية جهة من الأرض.. وأما أن أُضرَب بعد زيارة المستشار... وفي المدينة التي ينشر عليها لواء الأمن وفي أكبر شوارعها وعلى أيدي أناس ينتمون إليه، فذلك ما يؤلمني..." [39].

وإذا كانت هذه هي حال الثوار والمصلحين في كل صوب، فإن هذا الحادث لم يثنِ الحوماني عن أهدافه، بل زاده عناداً وإصراراً، فها هو يقول مخاطباً أبناء جبل عامل: "... ولم تكن هذه الفعلة الشنعاء لتغضّ من جماحي، وتقتل في نفسي ثورة لا يخمدها إلا قتل الجهل فيكم ورفع العبودية عنكم..." [40]. ولا غرابة أن يلاقي هذا الحادث إستحساناً عند بعض المفكرين والأدباء، أمثال مارون عبود والياس أبي شبكة؛ فقد بعث إليه الأول قائلاً: ".. آلمني جرحك، وعزّاني أنه نبيل، ففي سبيل الإصلاح والتهذيب دمك المهراق، ليكن النبي مثلك الأعلى، وحسبك الإمام الشهيد قدوة... شفى الله المعتدين من مرضهم المزمن، وأنت سليم معافى، يقويك الاضطهاد، ويجعل قلمك حديداً لا يلين..." [41].

أما أبو شبكة فقد استنكر الحادث بأسلوب طريف إذ قال: "في حين كانت الأقلام تستنكر الاعتداء عليك بالأساليب التقليدية، كنت أصغي إلى أصوات فرح وابتهاج تتصاعد من أعماق نفسي... لأن المكروه الذي حلّ بك حمل إليّ بشرى... فقد أيقنت أخيراً أننا أصبحنا في عهد العصا، إذن في المرحلة الأخيرة من مراحل الإقطاعية..." [42].

وتتوغل ثورة الشاعر في كل قرية عاملية، ففي كل بقعة ظل لسلطة الإقطاع، وثمَّ قمع وإرهاب، وثمَّ تذمّر واستياء؛ فإذا لم تحضر السلطة بشخص زعيمها، فهي حاضرة بشخص من يمثله خير تمثيل، ومن يقوم بدوره خير قيام: إنه **المختار!** فبإسم الزعيم يختال المختار ويمشي صلفاً، تحف به حاشية من الأنصار الأشداء؛ إنه البوق المروّج لسلطة الزعامة؛ عليه تُعقد الآمال إذا ما جرى استفتاء حول زعيم، وفي بيته تُحاك المؤامرات ضد أبناء ضيعته،

وتُدس الدسائس، وتُبذر بذور الشقاق، ويُدفع كل طرف في القرية لضرب الآخر. وإذا كان المختار يقدم ولاء الطاعة والإخلاص للزعيم، ويسهر على مصالحه، ويكون عيناً له على أبناء شعبه، فلمَ لا ينعم بالحظوة لديه! وكيف لا تكون له مكتسبات، هي في الغالب على حساب الشعب المسكين الذي يقع ضحية الزعيم والمختار على حد سواء. وكيف لا يكون المختار الآمر الناهي في ضيعته، له أن يحكم باسم الزعيم، وليس للناس حق في اعتراض أو شكوى، إلا الشاعر الذي تمرد، وثار، منبهاً أبناء الشعب من حبائل المختار ومكائده، ومع ذلك فقد التفت إلى ذلك المختار المضلِّل، محاولاً ردعه وإرجاعه عن غيّه، مذكراً إياه بيوم الحساب، وبالثواب والعقاب، لكن دون جدوى:

أيهــا المختــار لا توصــد علــيهم كــل بــابِ

إن في تحريرهم، لو شئت، شــيئاً مــن ثــوابِ

قال: يــا ســيد! لــو شــئت لخففــت عتــابي

كيـــف أدعـــوهم إلـــى الله، وبـــالله عـــذابي

فعلى الريش منــامي، ومــن الخــزّ ثيــابي(43)

والناطور كذلك، لم يكن بمنأى من ثورة الحوماني، فقد وفّاه الحساب، عندما جرّده مــن الأخلاق، معتبراً إياه لصاً يسرق أرزاق الناس بدل الحفاظ عليها. ومهمة الناطور حماية أملاك الناس وأرزاقهم من اللصوص، فما بال المقاييس تنقلب، وتصبح أرزاق العامليين بحاجة إلــى من يحميها من الناطور وزبانيته! بل إن هذه الأعمال تصبح مشروعة إذا كان من يقوم بها هم رجال البيك وأتباعه! وإذا بالشاعر يتبّع مع الناطور أسلوب الترغيب مرة، وأسلوب الترهيب مرة أخرى، محاولاً إعادته إلى رشده، مبيّناً له أن ما يفعله ليس سوى خيانة لشعبه، مذكراً إياه بما أمر به الدين وبما نهى عنه، وبمبدأ الثواب والعقاب:

أيها الناطور لــم نعهــدك فــي الكــرم وبــالا

أفكنــت اللــص.. أم أدليــت للــصّ حبــالاَ؟!

لا تخــنْ.. إن علــى الحــق يــد الله تعــالى

وإذا لــم تخـــف الله، فحـــاذر أن تَغــالا(44)

وتتخطى ثورة الحوماني البقعة العاملية لتشمل لبنان بأسره، وإن بقي جبل عامل المحرك لتلك الثورة، من خلال علاقة هذا الجبل بالأنظمة السياسية اللبنانية المتعاقبة، فقد ظل الجبل العاملي، أو ما أصبح يُعرف بالجنوب اللبناني فيما بعد، عرضة للإهمال والنسيان من قبل تلك الأنظمة، مما أثار حفيظة الكثيرين من القيّمين والمستنيرين ومنهم الحوماني، الذي طاولت ثورته جميع المؤسسات السياسية اللبنانية. فقد جاء في رسالة وجهها إلى رئيس الحكومة آنذاك: "... البلاد في حاجة ماسّة إلى المدارس والمستشفيات والطرقات ومياه الشفة والري... إن جبل عامل كمدينة تشتمل على مئتي ألف نفس، ليس فيها مدرسة ثانوية ولا مستشفى ولا شبكة طرق..."[45].

من هنا فإن ثورته التي كانت شرارتها قد بدأت مع ديوانه "نقد السائس والمسوس" وديوان "القنابل"، قد غدت أعمق وأشمل وأعنف في ديوان "فلان"، إذ لم يعد الشاعر ينظر إلى المشكلة السياسية نظرة مجزّأة، على أنها مسألة وزير تارة، ومسألة نائب تارة أخرى، بل بات ينظر إلى المشكلة على أنها مشكلة نظام متكامل، بما في ذلك الأجهزة السياسية والادارية والقضائية والصحافية أيضاً. لقد وضع يده على جوهر القضية وعالجها بالعمق، لذا لم نعد نراه يتناول النائب على أنه نائب فقط، ولا يتناول الوزير على أنه وزير فقط، ولا يتناول الموظف بصفته الوظيفية فحسب، بل يتناول كل واحد منهم على أنه يمثل حجراً في البناء السياسي القائم، وبالتالي فإن أي ضعفٍ أو خللٍ يصيب حجراً من ذلك البناء، سيؤثر حتماً على ما حوله، ويترك انعكاسات سلبية على البناء بأكمله مما يؤدي إلى انهياره برمته.

إن الحيّز الأكبر من ثورة الحوماني كان من نصيب المجلس النيابي، لما للنواب من علاقة مباشرة بأبناء الشعب الذي يمثلون؛ وأبناء الشعب هم من أوصلهم إلى مقاعد البرلمان. هذا وإن الحمم الملتهبة انصبَّت على رؤوس نواب الجنوب، الذين كانوا يغدقون الوعود على العامليين قبل الانتخابات، ولكنهم يتنكرون لوعودهم بعد الانتخابات ولا يفون بشيء منها.

إنه يوجّه إلى المجلس وأعضائه طعنة في الصميم عندما ينزع عنهم شرعية التمثيل، متهماً إياهم بالاحتيال والتزوير، واتباع شتى الطرق الملتوية للوصول إلى النيابة:

أيها النائب ما عندك والتمثيل زور؟[46]

وأنى لهؤلاء أن يمثلوا الشعب حقاً وهم الذين اشتروا أصوات النـــاخبين بالمـــال حينـــاً وبالوعود المعسولة حيناً آخر:

حـــين يحتـــاج إلـــى صـــوتك بـــين الناخبينـــا

ضارعاً يعطيك من توشـــية القـــول فنونـــا(47)

إلى أن يقول:

يشـــتري الصـــوت بخمسين ولم يبلغ نصابه(48)

ولعمري كم كان الشاعر مرّاً في نقده، حين صوّرهم راكعين ســـاجدين، ولكـــن لـــيس للرحمن، بل لكرسي البرلمان:

من رأى الكرسيَّ في مقصورة التمثيـــل تَعبـــدْ

خشب الجوز له يركع في المجلس ويُســـجد(49)

إنهم أبداً في قفص الاتهام، يرميهم الشاعر بالســـرقة، وباســـتغلال المناصـــب لمـــلء الجيوب، ويخص بالذكر منهم نواب الجنوب الذين يسألهم سؤال العارف المتجاهل عن ســـرّ الغنى الفاحش، وتبدُّل الحال غير الحال! أم هي اللقمة ينتزعونها من فم الشعب الجائع:

صادق المجلس بالأمس علـــى عشـــرين ألفـــاَ

وعلى أضعافها عشـــراً وزاد الضـــعف ضـــعفاَ

بعضها حـــال أثاثـــاَ يخطـــف الأبصـــار خطفـــا

واستحال البعض في أبهائه لهـــواَ وقصـــفاَ(50)

وكأنه ينتزع آخر خيط من خيوط الثقة بينهم وبين أبناء الشعب، عندما يتهمهم بـــالتواطؤ مع الاستعمار، من أجل الحفاظ على مقاعدهم النيابية، متهماً إياهم بالجاسوسية علـــى أبنـــاء شعبهم:

كل عــين مــنكم حالــت مــع الحكــم عيونـــا

يتجسســـن فـــلا يبقـــين فـــي النـــاس دفينـــا

كـــــل حـــــرّ يتحـــــرّاهم أداتـــــوهُ فـــــدِينا

كـــل جاســـوس لكـــم لقّننـــا الغـــدر فنونـــا

أيها الشعب أمـــا تـــدري بكيـــد الخائنينـــا[51]

ويصل الأمر إلى حد نـــزع صفة المواطنية عنهم، ذلك أن ولاءهـــم للخـــارج، ولـــيس لوطنهم وعروبتهم:

فإذا ذِكّـــرُ الفرنســـيس علـــى الأكـــؤس يعلـــو

وإذا يعـــرب فـــي الأفـــواه يُجفـــى ويُمـــلّ

قلت: ما أصلكم؟ قالوا: لنا بـــاريس أصـــلَ[52]

أما الحكومة، رئيساً وأعضاء، فلم تكن أصعب منالاً على قلم شاعرنا، الذي تناول هؤلاء بصفتهم هيئة تنفيذية تقبض على مقدرات البلاد. وهو لم يغيّر مع الحكومة النهج الذي انتهجه مع مجلس النواب، ذلك أن كليهما ينتميان إلى طينة واحدة، وإلـــى نظـــام واحـــد، وبالتـــالي فالأهداف واحدة، والتعاطي مع الشعب واحد، اللهم إلا في تناوله إياهم على أســـاس حقـــائبهم الوزارية، لا يستثني منهم أحداً، مبتدئاً برئيسهم الذي انتظر هذه الفرصـــة ســـنوات طـــوالاً، و"غنى لها خمسين عاماً وأنافا"، فإذا ما تحقق له ما أراد، عمل على إشباع مصالحه الخاصـــة ضارباً بمصير شعبه وبلده عرض الحائط، ناسياً ما يمليه عليه الواجب الوطني والشعبي، حتى غدا رمزاً للجور والفساد وعبئاً على كاهل الشعب لا يطاق، "وإذا كان رب البيـــت بالطبـــل ضارباً" فما على الوزراء إلا أن يسيروا على منواله ويتأثروا خطاه، لا ســـيما إذا عرفنـــا أن الحقائب لا تتم على أساس الكفاءة والخبرة؛ فوزير المعارف لا يمت إلى المعرفـــة بصـــلة، ووزيرا المال والزراعة أعماهما الطمع والجشع، ووزير العدل الذي يفترض فيـــه أن يكـــون مثالاً للعدل والإنصاف، فحدّث عن ظلمه ولا حرج، وهكذا تكرّ السبحة لتطال الوزراء جميعاً:

رئـــيس الـــوزارة نعـــم الـــرئيس   فـــــلا تســـــألوني عمــــــا وَزَرْ

... ووزيـــر الزراعـــة فـــي نعمـــةٍ   وأنعـــمُ منـــه وزيـــر الـــذهب

وأمـــا المعـــارف فاســـلِمْ بهـــا   فقـــد قـــام فيهـــا أميـــر الأدب!

ولا تســـأل العـــدل عمـــن يليـــه   أأنصفَ في حكمه أم ظلمْ؟[53]

ويضيق الشاعر ذرعاً بهذا الواقع السياسي الأليم، ويُشحن صدره غيظـاً لهـذا الزمـان الغادر الذي يقلب الموازين رأساً على عقب، فيؤتي الحظوظ من ليس أهلاً لها، بينمـا يبقـى الأكفياء الأصفياء طيّ الإهمال والنسيان، فيثور ويسخط ويشكو إلى الله مما آلت إليه الأمور، وتستحيل ثورته سخرية مرة وهو يتوجه إلى رئيس الحكومة ناعتاً إياه "بصاحب الدولة" مرة، و "بصاحب العزّة" مرة أخرى:

صاحب الدولـــة يـــا أضـــحك خلـــق الله ســـنّا!

قضـــت الدولـــة فـــي عهـــدك أن لا نطمئنـــا

فـــإذا الآمـــن، بالغـــدر علـــى بابـــك يُمنـــى

وإذا بـــالنفر الغـــادر يمشـــي مطمئنـــا[54]

وتتجلى السخرية ممزوجة بشيء من التذمر والتمرد إذ يقول:

صاحب العزة يا محبوب قلب الشعب، قـل لـي

كنت تقتات علـى الوجبـة مـن خبـز وخـلّ

ما الذي رقّاك من أدنـى إلـى أعلـى محـلَ؟

أهو الحـظ المـواتي فـي الزمـان الترللـي!

عبثـاَ سـبحانك اللهـم أن تقنـع مثلـي

أنّ في صفحك عن بعض الورى بعض التجلـي

عفـوك اللهـم لا الحـق ولا الحكمـة تملـي

قدر يلهو، ومـن لهـو بنـا هـذا التـولّي[55]

وهكذا تلتهب ثورة الحوماني لتلتهم كل شيء، فتطال هذه المـرة رئاسـة الجمهوريـة، فرئيس الجمهورية هو المسؤول الأول والأخير عن كل ما يحصل للبلاد، لذا لم ير فيه شاعرنا سوى عامل من عوامل الهدم والتدمير، وتاجر يتاجر بمصير الناس، ومتـآمر يتواطـأ مـع المفوض الفرنسي ضد مصلحة شعبه ووطنه "إنه قدوة سيئة لرجال الحكـم فـي لبنـان"، ولا يخرج من دائرة المصلحة الفردية والمنفعة الشخصية:

كيف لا ترعن الجوارح منا، ورئيس الأعضاء في الجسم أرعن

سمنت فيكِ يا بلادي رجال لم تلِ الحكـم فيـكِ إلا لتسـمن[56]

وهكذا تنعدم الثقة بكل أركان الحكم، وبكل ما يدّعون تحقيقه من أجل مصـلحة الـبلاد؛ حتى الاستقلال، فإنه بنظر الحوماني، ليس سوى مسرحية، أبطالها شخصـيات أسـطورية، ويبدو أن هذه المقولة كانت قد سرت على ألسنة بعض الشعراء الذين اعتبروا أن تشرين هـو شهر الكذب، وليس نيسان كما هو شائع، وفي ذلك يقول موسى الزين شرارة:

تشرينُ شهرُ الكـذبِ حـين دعـوهم   الأبطـالَ فـي لبنـان، لا إبريـلَ [57]

وهكذا، لا يقف الشاعر الثائر مكتوف الأيدي، ولا يكتفي بمجرد عرض مؤسف للحـال، بل ينبّه ويحرّض ويهدد ويتوعد:

أيهـا الأعيـان أوغلـتم بنـا حتـى عيينـا

سـوف تبكـون كمـا جُـرْتم علينـا فبكينـا

وسـتلقون مـن الآلام ضـعفيْ مـا لقينـا[58]

إلى أن يقول متوجهاً إلى الشعب:

أيها الشعب أفـق وانظـر وحاسـب وتوعّـدْ

وإذا لـم يُجـدِ تحـذيرك فـازجرْ وتهـدّدْ

وإذا لـم يُفـدِ الزجـرُ فحطَـمْ كـل مقعـدْ[59]

وبما أن ثورة الحوماني تحمل طابع النقد والإصلاح، فإنها طالت وجوهاً أخرى من ذلك النظام عندما تصدت للإدارة والصحافة والقضاء، تكشف فيها عن مواطن الفساد، وتظهر العلل والثغرات. فإذا السلطة القضائية التي وجدت لتقضي بين الناس، إذا هي قضـــاء علـــيهم، وإذا بالقضاة الذين عليهم حل مشاكل الناس، هم المشكلة بعينها، إنهم والسياسيون ينتمون إلى طينة واحدة، ويعملون وإياهم جنباً إلى جنب على ضرب أبناء الشعب وسَوْقِهم إلى الهلاك:

زعـــيم الـــبلاد وقاضـــي العبـــادِ، ذيّـــاك لـــص وذا صـــائدُ

فهـــــذا يســـــوقهم للهـــــلاك ســـــواماً، وذاك لهـــم قائـــدُ[60]

ويحاول الشاعر أن يسقط هالة هؤلاء القضاة، تلك التي يضفيها عليهم لباسهم المميز الذي هو بنظره مجرد غطاء يسترون به عيوبهم:

أو قضـــاة ســـتروا العـــار بحسن الطيلسانِ[61]

أما الصحافة، فإنه ينظر إليها نظرة الخبير المجرِّب، وحيث أن الصحافة في البلاد الراقية اللسان الناطق والفكر الواعي والوجه الإعلامي الحضاري، فقد نعى الحوماني علـــى لبنـــان وجهه الحضاري هذا، لأن معظم صحفه مأجورة، وهي مسرح لأقلام مأجورة، وبالتالي فـــإن الفكر غدا عبداً للمال، يتدفق من هنا وهناك، وغدت الصحافة أداة بيد أصحاب هذه الأمـــوال تنفذ مآربها، وتحقق أهدافها:

بعض هذي الصحف الكبرى كثيـــر الســـقطاتِ

...زرتَ يوماً مـــا صـــحافياً كثيـــر الهفـــواتِ

قال: قـــد أكـــره أحيانـــاً علـــى تلـــك الهنـــاتِ

كـــم حقيـــرِ الفكـــر وافـــاني جليـــلَ الخـــدمات

بيّضـــتْ غـــرٌّ أياديـــه ســـوادَ الكلمـــاتِ[62]

وكذلك هي حال الإدارة التي هي ركيزة الدولة الأساسية، إنها بنظره "أســـوأ إدارة فـــي العالم"، ذلك أنها لا تعتمد الكفاءة ولا الخبرة أساساً في تعيين موظفيها، بل تعتمـــد فـــي ذلـــك الحصص والمحسوبيات لهذا الزعيم أو ذاك. وعليه، فهي عرضة للإهمال والاســـتهتار فـــي غياب الأهلية والرقابة وفقدان مبدأ الثواب والعقاب. فها هو مكتب الموظف يتحول إلى غرفة

للنوم، أو للتسلية واحتساء القهوة والشاي مع الزملاء والأصحاب، فيما تُترك المعاملات تتراكم وتتكدس لتُلقى بعد ذلك في أدراج النسيان:

أيها النائم في أروقة الحكم تنبّهْ

لا تكن في قلم العدل على العدل مسبّهْ

تجد المغفي على أوراقه يعبد ربّهْ

أمِنَ السكرْ أم السكّر جافى النوم جنبهْ؟[63]

فلا غرابة إذن أن تشيع الوساطة والرشوة، وأن تتنوع هذه الرشوة وتختلف باختلاف الموظف وصاحب الحاجة، فتكون هدية مرة، ونقدية صفراء رنانة مرة أخرى:

جئته في حاجة فازورّ عني واشمأزا

فعرضتَ الأصفر الرنّان للحاجة رمزا[64]

وهكذا يمضي الشاعر مفتشاً في كل زاوية من زوايا النظام والمؤسسات عن علة يعالجها، أو عن بؤرة فساد يحاول ردمها، حتى نذر في سبيل ذلك ديواناً بأكمله هو ديوان "فلان" الذي يعد بحق ثورة للنفس وللكيان وترجمة للأحاسيس وللوجدان، فيكون ثمن ذلك هذه المرة، إتلاف الديوان وإبعاد الشاعر سنوات عن أرض الوطن.

ويمضي الحوماني في ثورته خارج الوطن اللبناني ليتصدى للقضايا الكبرى في الوطن العربي وهي يومئذٍ ثلاث: الاستعمار، والوحدة العربية، وقضية فلسطين.

أما **الاستعمار** فلقد ذاق الشاعر مرارته منذ صغره، يوم كان الأتراك لا يزالون يجثمون على صدر الأمة العربية، مخلّفين المآسي والويلات. وتأتي الحرب العالمية الأولى فيحسب العرب أنهم قد استراحوا، لكنهم كانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، إذ أنهم أفلتوا من قيد، ليقعوا في قبضة شرك آخر، شرك الفرنسيين والانكليز الذين بسطوا سلطتهم على البلدان العربية كافة.

وإذا كانت الرصاصات العاملية هي "الرصاصات الأولى، كما يذكر السيد حسن الأمين، التي أطلقت بوجه الاستعمار في ديار الشام، وكان جبل عامل هو الثائر الأول على الاحتلال الأجنبي بعد الحرب[65]، فليس غريباً إذن، أن تتفجر ثورة ذلك الشاعر وهو ابن الجبل

العاملي، بحماس وعنف، وأن تتميز مواقفه من الاستعمار بالصلابة والجرأة، مما يودي به إلى تحمل مرارة التنكيل والنفي والتشريد.

لقد اتخذت ثورة الحوماني وجهاً قومياً، إذ كان يرى الهدف واحداً والمستعمر واحداً، سواء كان فرنسياً أو انكليزياً أو تركياً أو صهيونياً؛ فلقد حاربه على أنه وجوه مختلفة لعملة واحدة. وقد آلمه ما حلّ بالشعوب العربية من ظلم المستعمر وعسفه، وما يلاقيه العربي من ظلم النفي والتشريد والبعد عن الأهل والوطن، كيف لا؟ وقد ذاق هو مرارة هذا النفي أكثر من مرة:

اليعربي يبيت عنكِ مشرّداً والأعجمي على عروشك قائمُ[66]

ويقول:

أفللغريب تَشاد، فاتنةَ فيكِ القرى وتَزخرَف المدنُ؟

بنوكِ في الآفاق يلفظهم برٌّ وتخفق تحتهم سفن[67]

إن شعر الحوماني المندِّد بالمستعمر، كان حاضراً في كل مناسبة؛ فإذا ضرب المستعمرون دمشق ودمروا أحياءها، تفجرت عاطفة الشاعر غضباً وشعراً وثورة:

سلْ عرصة الميدان كم هُتكتْ بها من خدر يعرُبَ أوجهٌ ومعاصمُ

تحت السنابك والقنابل فوقها أمٌ مدلّهةٌ وطفل باغمُ[68]

وإذا اندلعت الثورة السورية الكبرى ضد الاستعمار، راح الشاعر يشيد ببطولات العرب، ويحيّي صمودهم بفخر واعتزاز:

وفيالقٍ حشد العدو خميسها في مأزق غصت به لهواتهُ

طلعت عليه كتيبة عربية فجرت على أسيافهم مهجاته[69]

وإذا جرت معركة ميسلون، راح الشاعر ينتشي عزاً وفخاراً، معتبراً إياها رمزاً للبطولة والتضحية والاستشهاد، مشبهاً إياها بموقعة كربلاء، متخذاً منها ومن سواها من المعارك، العبر، محذراً العرب من التباكي على أمجادهم الضائعة تارة، ومن الندم على تلك الأمجاد تارة، لأنهم في ذلك إنما ينسون حاضرهم ويضيعون مستقبلهم:

الألـــى عـــزّزوا، مضـــوا وبقينـــا ننشـــد العـــزّ مـــن رفـــات أبينـــا[70]

لذا أطلقها صرخة مدوّية، رافضاً أنصاف الحلول، داعياً إلى حمل الســلاح فــي وجــه المستعمرين؛ فإما الحياة بعزٍ وكرامة، وإما الشهادة:

أيهـــا البـــاكي علـــى أنـــدلسٍ وعلـــى تـــونس، هـــوِّن وتـــأسَّ

وثـــب الضـــيغم مـــن مكمنـــه وانتهى زمجرةَ مـــا كـــان همســـا[71]

أعمل الســيف فــي الرقــاب لتحيــا آمنَ الســربِ أو تمــوت شــهيدا[72]

وهكذا أخذت النــزعة القومية تتأصل وتنمو في نفس الشاعر، وسط جو مــن الحمــاس القومي الذي كان قد شرع في تحريك القلوب والأقلام منذ بدايات القرن العشرين، وكان له في الأدب اتجاهات ظاهرة، أبرزها المفاخرة بالأمجاد والأسلاف[73]. وقد اتخذت هذه النـــزعة طابعاً حماسياً في المرحلة الأدبية الأولى لدى شاعرنا الذي يقول:

ســـــائلوا التـــــاريخ عنّـــــا كيـــــف دوّخنـــــا الـــــبلادا

أنجبـــــت قحطـــــان منّـــــا أسُـــــداً تهـــــوى الجـــــلادا[74]

ومن هذا المنطلق القومي، أخذ الشاعر يتعاطى مع قضايا الوطن العربي، فيغضب، مثلاً، ويثور لحال الجزائر التي أفقدها المستعمر ملامحها العربية:

ويـــحَ الجزائـــر! مـــا لأوج تراثهـــا غربـــت أهلّتَـــهُ ولمّـــا تطلـــع[75]

وبهذا الدافع القومي نفسه، راح يرقب الأحداث من حوله، فينظر بعين حذرة إلى الأفكار التي بدأت تغزو المجتمع العربي، بهدف تفتيت عرى القومية العربية، وضرب الدعوات الآيلة إلى توحيد الصف العربي وتحقيق الوحدة العربية، تلك الوحدة التي طالما تحمس الشاعر لها، وأسف لما يقف في وجهها.

وتبرز على الصعيد العربي مشكلة كبرى، هي **مشكلة فلسطين**، فتستحوذ علــى نفــوس الشعراء العرب بعامة، والعامليين منهم بخاصة ولا سيما الحوماني الذي حمــل لــواء هــذه القضية مدافعاً عنها ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ هذا الدفاع كان في البداية، وقائيــاً، إذ حــاول التنبيه إلى خطر التدفق الصهيوني على أرض فلسطين؛ إلا أن دعوته تلك لم تلقَ أذناً صاغية، بل كانت صيحة في واد، إذ لم يقابل هذا السيل الجارف من الصهيونية، كما يقول، "إلا ســيل

من القرارات جارف، يتدفق من الجامعة العربية... ولكنه كالسراب... ومن وراء ذلك شــعب حائر "[76].

ولكن فلسطين تُقسّم، وينتصر الصهاينة، فيحاول الشاعر أن يجد سبباً مقنعاً لغلبة اليهود، رغم التفاوت العددي بينهم وبين العرب، فيرى أن العدد وحده لا يكفي ما دامــت الـــــ "أنـــا" والرغبة في الزعامة تسيطر على كل عربي "فويل لأمة كل فرد فيها أمة"[77]. فيتألم الشاعر، لفداحة الخطب، ويصب جام غضبه على القادة العرب الذين اعتبرهم مسؤولين أولاً وأخيــراً عن ضياع فلسطين ولم يتورّع عن تسميتهم إذ يقول:

مـــلأ الـــدنيا ريـــاض بـــالوعود وكســـاها مـــن رصـــاص الدمـــدمِ

فحســـبنا الأرض مـــادت بـــاليهود وتلاشـــوا بـــين شـــدقيْ مـــردمِ

الســـــعودي غـــــداة انتفضـــــا هـــــدرت فانتفخــــت أوداجــــهُ

والعراقـــي علـــى جمـــر الغضـــا تتنــــــزى للســــما أثباجــــهُ

وفتـــى الأردن أقعـــى ومضـــى يســـأل الزرقـــاء مـــا تحتاجـــهُ

هكـــــذا أبطالنـــــا خاضـــوا الـــــردى

ينشـــدون النصـــر بـــين الأكـــؤس[78]

وهنا يشكو إلى النبي ما آلت إليه حال الأمة:

يا أبا المرسلين حسبك أنا قد ضـرعنا للسـامريّ خـدودا

خذلوا ربهم وكانوا مع الحق، أناسيَّ، فاستحالوا قـرودا[79]

لذا كانت الصدمة موجعة، والخيبة قاتلة، وكانت الهدنة هزيمة ساحقة مُنيَ بها العرب:

ثـــم مـــاذا كـــان والكـــون دجـــا والســـــماء امـــــتلأت بالشــــهب

بيد أن اليأس لم يقضِ على الرجاء في نفس الشاعر، والخيبة لم توهن الإرادة والعزيمة، والصدمة لم تقتل فيه روح الثورة، بل أجَّجتها من جديد، فإذا به يتوجه إلى بلفور قائلاً:

لـــن تعيـــد الحـــق فينـــا بـــاطلاً بالـــذي تـــأتي ولا النـــور ظلامـــا[80]

ثم يلتفت إلى العرب داعياً إياهم إلى محاربة العدو ثقافياً، قبل مقاطعته سياسياً واقتصادياً، ومحاربته عسكرياً، معتبراً أن قتال الصهاينة أكثر ضرورةً للإنسان العربي من الغـذاء، وأن الدفاع عن الأرض إنما هو جهاد مقدس ودفاع عن العروبة والإسلام:

جـــدِّي عهـــدك، جـــدَّدنا الشـــبابا ورصـــــدناكِ شـــــعاباً وهضـــــابا

أنـــتِ يـــا أنشـــودة الله، علـــى كـــل مبعـــوثٍ تنـــزّلتِ كتابـــا[81]

مذكراً العرب بمجدهم المشرق، محاولاً أن يستمدّ من الماضي مدداً وقوة:

كم ظمئنـــا قـــبلاً فحـــال بنـــا الظِـــمءُ حماســـاً حتـــى وردنـــا "الســـينا"

وحملنـــا علـــى الســـحاب أمانينـــا فطرنـــا حتـــى بلغنـــا "الصـــينا"

أفـــلا خطـــوة إلـــى حيـــث نحيـــا ويعـــود "الوليـــد" فيناجنينـــا[82]

شعره الاجتماعي:

وإذا كان الحوماني قد سلّط عيناً ناقدة على القضايا السياسية في لبنان والعالم العربي، فإنه سلّط العين الأخرى على انعكاسات هذه السياسات على المجتمع اللبناني عموماً والعاملي منه بوجه خاص؛ فإذا تحدث عن مساوئ النظام السياسي وفساد الإدارة والصحافة والقضـاء، فإنه لاحظ، ولا شك، ما خلّفه ذلك من مآسٍ على الصعيد الاجتماعي، وعلـى حيـاة النـاس ومعاناتهم اليومية، لا سيما وأنه لم يكن بمنأى عن تلك الأجواء الصعبة، لذا وجد لزاماً عليه، أن يحارب كل مظاهر العلل والفساد، من غلاء واحتكار واستغلال، حيث يصوّر الغلاء شبحاً يخيف الناس ويرعبهم، إذ لم يعد بمقدورهم أن يحصلوا على لقمة العيش.. حتـى المـوت... باتوا يحسبون لنفقاته، كل حساب:

ما ترى الأشياء في عهـد "فـلان" تتعـالى[83]

كل ما تطلبه، حتـى الـردى، يطلـب مـالا[84]

وقد شهد الحوماني بأمّ العين، يوم كان مسؤولاً عن جمعية الإصلاح، كيف يُحتكر الأرز والسكر والطحين، فآلمه أن تخزّن هذه المواد في المستودعات، في حين ترتفع أسعارها بحجة فقدانها من السوق. وقد كان هذا الأمر دافعاً للشاعر، لنظم مجموعة من القصائد، أدرجها تحت عنوان "مستودع الحي"، حيث يكشف عن ألاعيب المحتكرين والمتاجرين بحياة الناس وأرزاقهم، فتراه يخاطب السكر، مثلاً:

أيها السكّر في مستودع الحيْ تكلّمْ

بعضنا شفَّ هزالاً منك، والبعض تورّمْ

أي لونيك تصبّانا فكان الكل أبكمْ

أهو لون الفاتن المعشوق أم لون المتيّمْ[85]

إلى أن يقول:

فخزين الرز والسكر مجهول المكانِ

فهو لا يوجد إلا عند لصٍّ بهلواني

أو لصوصٍ من ذوي التاج بنا والصولجانِ

أو قضاةٍ ستروا العار بحسن الطيلسانِ

ولقد يعلمه بعض رجال البرلمانِ[86]

ونتيجة لكل هذا ازداد الفقراء فقراً، والأغنياء غنىً، بحيث أن هوّة سحيقة باتت تفصل بين طبقتين: واحدة تتضوّر جوعاً وأخرى تقتلها التخمة، وبات القوي يأكل الضعيف:

أنت يا مستودع الحي أرزاً وطحينا

سمنت فيك رقاب تأكل المهزول فينا[87]

ويقول مخاطباً القرش:

كنت يا قرش فقير الشعب محدود اللسانِ

تسأل البائس في أطماره عما يعاني

وأراك اليوم خفاق الحشا، طلق العنان

بين عزف وشراب من دفوف ودنانِ[88]

وهكذا فإذا كان شعر الحوماني فيما خص الجوانب السياسية المحلية والعربية يتخذ شكل نقد ثائر، فإنه فيما يخص الجانب الاجتماعي يتخذ شكل نقد إصلاحي؛ وكما تصدى للمسؤول السياسيٍ، إقطاعياً كان أو قائداً أو رمزاً من رموز النظام، فإنه التفت إلى الشعب أيضاً، يحمله قسطاً من تبعات ما آلت إليه حاله، ومن هنا جاءت تسميته لأحد دواوينه "نقد السائس والمسوس".

ويحاول الشاعر أن ينبّه ذلك "المسوس" ويبث في نفسه الوعي وروح الإرادة والعزيمة، وأن ينتشله مما يتخبّط فيه، فيلتفت حوله فإذا العلل كثيرة، فالجهل مسيطر، والأمية متفشية، والفساد مستشرٍ بين الشباب، ووضع المرأة زريّ رديء، والفلاح مسكين مظلوم، والبلاد في حال لا تُحسد عليه. إزاء ذلك لم يقف الشاعر متفرجاً ولا مستسلماً، بل حاول التعرّض لكل هذه المشكلات، عاملاً على التخفيف منها قولاً وعملاً. فإذا رأى الأمية متفشية بين عامة الناس، أولى هذه المسألة اهتماماً بالغاً، معتبراً إياها البند الأهم في بنود حركته الاصلاحية، ذلك أنه كان يرى انحطاط أمته ناتجاً عن إهمال دور التعليم فيها، وأن لا خلاص ولا إنقاذ لشعبه ووطنه إلا بتزويده بالعلم والمعرفة. وإذا كانت الحركة الفكرية في الجبل العاملي لم تنضب، فهي كانت تقتصر على الطبقات الميسورة والأسر العريقة التي كان بمقدورها، وهي تعي أهمية التعليم أن تقصده أينما كان. لقد ساد الجهل وعزّت المعرفة نتيجة للفقر والطغيان السياسي واستخفاف زعماء الإقطاع بأمر البلاد ومستقبل أبنائها. وفي هذا المجال يرى الشيخ علي الزين أنه "لولا طموح بعض أبناء القرى لأن يكونوا وكلاء عند زعماء الإقطاع... ثم حرص المحافظين من رجال الدين على التمسك بتراث آبائهم وأجدادهم من العلوم الدينية لعزّ في البلاد وجود من يحسن القراءة والكتابة"[89].

من هنا كانت دعوة الحوماني المتقدمة إلى إلزامية التعليم، واعتباره أكثر وجوباً من الصلاة نفسها، وكانت دعوته إلى كف يد الهيمنة السياسية و "حمق الزعامة" الاقطاعية عن كل مجالات التعليم:

فأنـــــت إذا جئـــــت دار العلـــــوم   رأيـــــت الجهالـــــة عنوانهـــــا

وكيـــف تنيـــر وكـــفّ السياســـــ   ـــة أودت بمـــن شـــاد بنيانـــــها[90]

ومن هنا أيضاً، كانت دعوته عدم الاستخفاف بمهنة التعليم، بل السموّ بها والرفع من قدر المعلم الذي هو "السبب الأول في حياة أمته.. والأمة إذا لم تستضئ بنور معلميها، فلا تلبث أن تخبط في ديجور جهالتها"[91].

إذا مـــا احتفـــت برجـــال العلـــوم   بـــــلادٌ فبشَـــــر بعمرانهـــــا

وإن خـــــذلت أمـــــة ســـــاهراً   عليهـــــا، فانـــــذر بخـــــذلانها[92]

والحوماني نفسه ذاق مرارة هذا الاستخفاف خلال الفترات التي مارس فيها التعليم، حيث طرد مرة، ونفي مرة، وغُبن مرات، فليس غريباً إذن، أن يتألم وهو يرى أنه يؤتى بالجهلـــة لتولي المسؤوليات التعليمية، فيما يستغنى عن أصحاب الكفـــاءات، أو يســـاقون إلـــى النفـــي والتشريد:

وإن خـــدم المجـــدَ كَفّـــت يـــداه   وســـــيقَ لأرواد أو إربـــــدِ[93]

ويجدر التنويه بأن الحوماني لم يتصدّ لهذه المسألة نظرياً فحسب، بل ترجم ذلك عمليـــاً عندما راح يسعى من خلال "جمعية الإصلاح" إلى تأسيس مدرسة ليلية تعمـــل علـــى تعلـــيم الأميين من أصحاب الأشغال، وتأسيس مدرسة لتثقيف الناشـــئة الـــذين تجـــاوزوا الصـــفوف الابتدائية، وإنشاء نادٍ لإلقاء المحاضرات العلمية والأدبية. كما راح يحث المهاجرين العامليين على بناء معاهد وجامعة في جبل عامل مبيناً لهم أن الخلاص من براثن الاستبداد لا يكون إلا باستئصال جرثومته، وإن استئصال هذه الجرثومة لا يكون إلا بقتل الجهل المخيّم على تلـــك الهضاب، ولا يقتل الجهل إلا بنشر العلم و "لن ينشروه إلا بتشييد المدارس والمعاهد"[94].

كما أولى الشاعر أهمية لمشاكل الشباب الذين بهرتهم زخارف الغـــرب، فظنـــوا ذلـــك حضارة، وتمسكوا بقشور المدنية الغربية، تاركين لبابها، ولم يدروا أن الغرب لم يزدهـــر إلا بعلومه وآدابه، أما هم، فقد تنكّروا لعاداتهم وتقاليدهم وتراثهم وعلـــومهم وآدابهـــم، وفهمـــوا الحضارة على أنها مسخٌ للباس، وقصٌ للشوارب، ومسحٌ للِّحى:

فســـلْ مـــن تفـــرنج لِـــمْ قلّـــدوه فقصـــــوا الشـــــوارب إلا نَتَـــــفْ

كــــأن الرقـــــيّ بمســــــخ اللبــــاس ومسخ الســبال ومســـح اللحـــى[95]

وهذا ما جر علينا الويلات، وجرّد شبابنا من القيم والأخلاق، وأشاع بينهم كل انحراف أو فساد، فباتوا عبيد الحضارة الغربية المزعومة! لذا يطلع عليهم الشاعر بجملة مـــن النصـــائح والإرشادات، يخصص لها باباً في ديوانه "نقد السائس والمسوس" سماه "باب الوصايا"، حيـــث يوصيهم بالابتعاد عن كل باطل، وبنبذ التقاتل والتحاسد والتناحر.. إنـــه يوصـــيهم بـــالتحلّي بالصدق والوفاء، وإعانة الفقراء، والبرّ بالوالدين والإخوان والوطن، وبالتمتع بالإتزان والحلم والوقار، "فالرجل لا يكون عظيماً ما لم يعظم عمله، ولن يكون عظيم العمل ما لم تعظم همته، ولن يكون عالي الهمة ما لم تسمُ به نفسه، ولن يكون سامي النفس ما لم ينهض به جِدّه، ولـــن يكون ناهض الجِدّ ما لم يقطع الشطر الأول من حياته مكباً على كتابه، مســـتظهراً زخـــرف الحياة الدنيا[96]" لذا نراه يتوجه إلى كل شاب بالقول:

بنـــيَّ احـــتفظ بـــاثنتين اثنتـــين تصـــــون بهـــــاءك أن يـــــذهبا

وقـــارٍ تهابـــك فيـــه النفـــوس وحلـــمٍ يصـــونك أن تغضـــبا[97]

ولا ينسى شاعرنا المرأة التي تحتل حيّزاً من شعره، لا سيما وأن قضيتها كانت قد بدأت تستأثر باهتمام الأدباء والمفكرين منذ مطلع القرن العشرين؛ فلقد دعا الحوماني إلى تعليمهـــا وتهذيبها، ونادى بتحريرها وخروجها إلى ميدان العمل الاجتماعي:

علّموهـــا الفنـــون فنّـــاً ففنّـــا هي أولـــى بـــالعلم مـــنكم ومنّـــا[98]

بيد أنه رسم لتحررها حدوداً وضوابط، أهمها العفة والحشمة، وعدم الانجراف بما يأتينا من الغرب:

بنيّتــــي اســــــتتري بالحيـــــاء فما عِيــبَ مَــنْ بالحيــاء اســتترْ[99]

ولم يُغفل الحوماني من أدبه تلك الفئة المستضعفة من أبناء شعبه، ولا سيما فـــي جبـــل عامل، حيث ازدحمت مظاهر البؤس والشقاء، وعمّ الفقر والحرمان الغالبيـــة العظمـــى مـــن الشعب العاملي، فتحركت تجاه ذلك عواطف الأدباء الذين هـــزّتهم المأســـاة، فـــأعملوا فيهـــا أقلامهم، مصورين حيناً وناقدين حيناً آخر. فها هو موسى الزين شرارة يقول:

لو زرت عامل أشـجاك الشـقاء بـه   ومـا يكابـد مـن بـؤس وحرمـان

فـلا تـرى غيـر جوعـان وجائعـة   وغيـر ظمآنـة فيـه وظمـآنِ[100]

والحوماني كعادته، سبّاق إلى التحسس بآلام شعبه، والتعاطف مع الفقراء والمستضعفين. وبروح ثائرة وعين دامعة، ينظر إلى الفلاحين الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم من الشعب العاملي. أولئك الذين يقعون بين مخالب الإقطاعيين وجشع أصحاب الملكيـات مـن جهـة، وينوؤون تحت وطأة الضرائب المفروضة عليهم من جهة أخرى. وهكذا يتعب الفلاح ويشقى ليله ونهاره، صيفه وشتاءه، مقابل نـزر يسير مما تنتجه الأرض، إذ يتعـاون علـى سـلبه الإقطاعيون والعشّارون والجباة والمرابون، فيما الحصة الكبرى تكون من نصيب الأسياد:

ترى الزارع الغـرّ يطـوي الشـتاء   ويحصـــد لكـــن لأســـيادهِ[101]

ويقول أيضاً مصوراً الغبن اللاحق بالفلاح:

لـــه العشـــر ممـــا جنـــى كاســـباً   وللبيـــك تســـعةَ أعشـــارهِ[102]

حتى خادمة "البيك" التي درجت العادة على أن تخدم في دور "البكوات" مـن أصـحاب الإقطاع، وفي دور الوجهاء والمتنفّذين، فقد التفت الحوماني إلى قضيتها، إذ سـاءه وضـعها المزري، وآلمتهُ صورة العبودية المقيتة التي تجسدها. فالخادمة كانت تخضع، بنظر شاعرنا، لعبودية مزدوجة، ذلك أنها لم تكن عبدة للبيك إلا لأنها عبدة للرغيف، للقمة العيش، للفقر الذي غدا سيفاً مسلطاً على الرقاب، ووجهاً من وجـوه التحقيـر والإذلال وتحكـم القـوي بلقمـة الضعيف:

وســـاهرة فـــوق تنورهـــا   تـــديح الرقـــاق قبـــل الغلَـــسْ

قضـــت عمرهـــا عبـــدة للرغيـــف   فمـــا تعـــرف النـــوم إلا خَلَـــسْ[103]

خاتمـــة:

وأخيراً لا بد من القول أن الحوماني قضى حياته بحـراً زاخـراً بالمشـاكل والهمـوم، تضطرب أمواجه وتتلاطم، فلا يقر ّله قرار، يلقي عن عاتقه عبئاً ليحمل أعباء، وهكـذا هـو أدبه، ثائر عنيف مرة، وهادئ إصلاحي مرة، وناقد ساخر مرة أخرى. وهكذا هـو شـعره،

شعر النفس الموجَعة التي بُحّت من الصراخ، فها هي تحاول أن تضغط على الوجع في مكانه، في مجلس الوزراء أو مجلس النواب، أو في ساحة البرج التي طالما تردَّدَ ذكرها في ديــوان "فلان"، حتى غدت رمزاً للظلم والقهر والتعسف وخيبة الرجاء، يناديها فلا تجيب:

ســاحة البــرج أجيبينـــي فقــد بُحّــت لهــاتي

وجرت في الطرس من لون دموعي كلماتي(104)

***

ساحة البرج، عِمي يا ســاحة البــرج مســاءَ!

كم رجونــاكِ لتهــدينا، فخيّبــت الرجــاءَ(105)

***

ساحة البرج أنيري واعتمي مــا شــئت فينــا

ذهب الكنــــز الــذي فيــك رصــدناه ســنينا

يوم كــان الحــق فـــي قلــب ســراياك دفينـــا

ورجونـــا الأســـد الخـــادر أن يجفــو العرينـــا

ويعيــد الحــق فـــي أهليـــه وضّـــاحاً جبينـــا

فـــإذا بالليـــث يـــنقضّ فيرديـــه طعينـــا

وإذا عهــدك قبـــل اليـــوم عهـــد المخلصـــينا

وإذا العهـــد الـــذي أقبـــل عهـــد الخائنينـــا

سطع النور، فلم نبصر بـــه حتـــى عمينـــا(106)

***

ســـاحة البـــرج أمـــا فيـــكِ لهـــذا العهـــد قبـــر!

فبمـــاذا نـــدفع البلـــوى وقلـــب العـــدلِ صـــخر! (107)

إلا أن ساحة البرج لم تبلّ للشاعر ظمأً، ولم تشف غلاًّ، وتطاول العهد... وأناخ بكلكلــه على صدره، فشكا الحال إلى نبي الأمة، وطالت الشكوى، وظل بعيداً عن الأهل والوطن حتى أواخر حياته، يبعث بآهات الحسرة والألم:

لبنـــان! يـــا بلـــد الجمـــال متـــى يحلـــو لأهلـــك فوقـــك الســـكن![108]

فما إن تحقق له هذا الحلم أو كاد، وعاد إلى أرض الوطن، وإلى أرض جبل عامل، بـــل إلى أرض مسقط الرأس في حاروف، حتى كان له الموت بالمرصاد، فمضى شـــاعرنا عـــام 1964، تاركاً في الجبل العاملي وفي لبنان ودنيا العرب، بل في كل بقعة حلّت فيهـــا نفســـه الشاعرة، وروحه المتوثبة، دوياً ما زال يضجّ في أسماعنا وأرواحنا، وما زال يهزّ منّا الكيان والوجدان.

أكتفي بهذا، دون أن أزعم أنّ قراءة كهذه، استطاعت أن تحيط بنتاج أديب سخيّ العطاء، علّه يتيسّر لنا في دراسة لاحقة أن نضيء على جوانب أخرى من أدب هذا الرجل، راجية أن أكون قد وفّيت بعضاً من حق أديب مغمور، في عصر ينبغي أن يُرفع الغبن فيه عـــن أدبـــاء وعارفين من أمثال شاعرنا الكبير... محمد علي الحوماني!

هـــوامـــش البحـــث

1- ورد الاسم على هذا النحو في مقدمة ديوانه الأول "ديوان الحوماني".
2- يوسف أسعد داغر: مصادر الدراسة الأدبية، ج1، ص 345.
3- جبشيت قرية مجاورة لقرية الشاعر.
4- أسس هذه المدرسة العلامة السيد حسن يوسف الحسيني بعد رجوعه من العراق عـــام 1891، ونعتهـــا بالحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني، كما جرت العادة في ذلك العصر، إذ كانوا ينسبون كل مؤسسة عامة إلى السلطان تيمناً باسمه.
(أنظر محمد جابر آل صفا: تاريخ جبل عامل، ص 249).
5- هو السيد محسن بن عبد الكريم الأمين، من مواليد شقرا في جبل عامل (1879م-1951م)، حاز علـــى درجة الاجتهاد في الفقه من جامعة النجف. أقام في دمشق مرشداً دينياً ومسؤولاً شرعياً عن الطائفـــة الشيعية هناك. له مؤلفات هامة، نذكر منها: "خطط جبل عامل" والموسوعة الكبرى "أعيـــان الشـــيعة"، التي تضم ستة وخمسين مجلداً.
6- وردت هذه التفاصيل عن حياته في كتابه "ديـــن وتمـــدين"، ج1، ص 134، و ج2، ص 107 و 135، وفي مقدمة ديوانه: نقد السائس والمسوس.
7- الحوماني: دين وتمدين، ج2، ص 19.
8- انظر جعفر الخليلي: هكذا عرفتهم، ص 284.
9- انظر جريدة الاصلاح، عدد 9 تموز 1929.
10- انظر مجلة العروبة عدد 36، ص 36 و 37.
11- علمت من السيد رضا الحوماني، ابن الشاعر، خلال مقابلة أجريتها معه، أن والده ظل يقوم بهذه الزيارة في رجب من كل عام حتى وفاته.
12- نفي بسبب نشاطه المعادي للانتداب الفرنسي، وبث روح الحماس في صـــفوف طلابـــه ومـــن خـــلال أشعاره، لا سيما خلال الثورة السورية الكبرى وموقعة ميسلون الشهيرة.
13- سيكون هذا الديوان المحور الأساسي لحديثنا عن ثورة الحوماني.
14- انظر محمد كاظم مكي: الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، دار الأندلس، ص 203.
15- الحوماني: دين وتمدين، ج2، ص 20 و 274.
16- نُشرت بعض المحاضرات التي كان الشاعر يلقيها على الطلاب، في مجلة العروبة، في الأعـــداد: 10-11-15-21-22-25-27-29.
17- ورد ذلك في نبذة عن حياة الشاعر لمحمد قره علي في جريدة الحياة البيروتية، عدد 552.
18- انظر الحوماني: دين وتمدين، ج1، ص 376.
19- هم السادة: عبد الله المشنوق، عمر فروخ ومحمد خيري النويري.
20- نذكر منها: العرفان والأديب في لبنان، والرسالة والمقتطف والهلال في مصر، والســـاعة فـــي بغـــداد، والمدينة المنورة في السعودية.
21- الحوماني: دين وتمدين، ج1، ص 341.
22- الحوماني: مقدمة "نقد السائس والمسوس" ص. ج..

23- انظر محمد كاظم مكي: الحركة الفكرية... ص 196.
24- انظر علي الزين: مع الأدب العاملي، مطبعة ساميا، بيروت، ص 18-19.
25- الحوماني: دين وتمدين، ج1، ص 165.
26- "نقد السائس والمسوس" وهو ديوان يضم أربعة أبواب: الأول في نقد السائس أو المسؤول، والثاني في نقد المسوس أو الرعية، والثالث في النقد الاجتماعي، والرابع يندرج ضمن النصح والإرشاد.
27- المقصود بـ "فلان"، رئيس الحكومة آنذاك، بل كما يقول الشاعر، المقصود "كل رجل كان قبل أن يحكم موضع احترام الأمة وتقديسها ثم ينتهي بالحكم إلى المكانة التي ينحدر بها من القمة إلى الحضيض" (انظر مقدمة هذا الديوان ص 10).
ويروي الشاعر أنه فيما كان الديوان قيد الطبع، حضر "أربعة من رجال الأمن الأشداء" وأتلفوه "بالمقاريض"، ولم يسلم منه سوى ست نسخ كان الشاعر قد أخرجها قبل إتلافه. (انظر هذه التفاصيل في دين وتمدين، ج2، ص 171). إلا أنني لم أعثر إلا على نسخة واحدة موجودة في الغرفة المقفلة في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت.
28- هو مؤلف ضخم يقع في ستة أجزاء، صدر الجزء الأول منها سنة 1958، أما الجزء الأخير فقد صدر بعد وفاة المؤلف.
29- محمد كاظم مكي: الحركة الفكرية، ص 242.
30- محمد جابر آل صفا: تاريخ جبل عامل، دار متن اللغة، بيروت، ص 211.
31- مجلة العروبة: عدد 25، ص 28.
32- الحوماني: نقد السائس والمسوس، مقدمة، ص واو.
33- الحوماني: "فلان"... ص 142-143.
34- الحوماني: نقد السائس... ص 81.
35- الحوماني: القنابل... ص 62.
36- الحوماني: النخيل... ص 80.
37- الحوماني: نقد السائس... ص 112.
38- و 39 تجد نص هاتين البرقيتين كاملاً في مجلة العروبة عدد 26 ص 28.

40- مجلة العروبة، عدد 27، ص 31.
41- مجلة العروبة، عدد 24، ص 29.
42- مجلة العروبة، عدد 27، ص 5.
43- الحوماني: فلان...، ص 116-117.
44- الحوماني: فلان...، ص 121.
45- الحوماني: رسالة موجهة إلى رئيس الحكومة تجدها في مقدمة ديوان "فلان"... ص 14.
46- الحوماني: فلان.. ص 161.
47- نفسه... ص 162
48- نفسه... ص 163

49- نفسه... ص 50

50- نفسه... ص 168

51- نفسه... ص 46-48

52- نفسه... ص 172

53- الحوماني: نقد السائس... ص 23.

54- الحوماني: فلان... ص 148.

55- نفسه... ص 173.

56- الحوماني: النخيل... ص 29.

57- العرفان... م 35، ج10، ص 1453

58- الحوماني: فلان... ص 46-47.

59- نفسه... ص 51.

60- الحوماني: الديوان... ص 195.

61- الحوماني: فلان... ص 96.

62- نفسه... ص 242

63- نفسه... ص 226

64- نفسه... ص 250

65- مجلة العرفان نيسان 966 ص 1015.

66- الحوماني: الديوان... ص 16.

67- الحوماني: النخيل... ص 23-24.

68- الحوماني: الديوان... ص 16.

69- نفسه... ص 10.

70- الحوماني: النخيل... ص 61.

71- نفسه... ص 31 و 33.

72- الحوماني: القنابل... ص 12.

73- أنيس المقدسي: انظر العوامل الفعالة في الأدب العربي الحديث – العوامل السياسية – ج1، مطبعة المقتطف...

74- الحوماني: الديوان... ص 37.

75- الحوماني: مع الناس... ص 11.

76- مجلة العروبة، ج1، ك2، 1947، ص 2.

77- مجلة العروبة، ج1، ك1، 1947، ص 7.

78- الحوماني: النخيل... ص 43.

79- نفسه... ص 15.

80- نفسه... ص 43.

81- العروبة، ج1، ك2، 1947، ص 58.

82- الحوماني: النخيل... ص 64 ("السينا"، هو نهر السين في فرنسا، و "الوليد" هو القائد خالد بن الوليد.
83- سبق وذكرنا أن "فلان" رمز لكل مسؤول في الحكم.
84- الحوماني: فلان... ص 224.
85- نفسه... ص 224.
86- نفسه... ص 95-96.
87- نفسه... ص 86.
88- نفسه... ص 136.
89- علي الزين: العادات والتقاليد في العهود الإقطاعية، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى، ص 187.
90- الحوماني: نقد السائس... ص 62.
91- الحوماني: انظر دين وتمدين... ج 1.
92- الحوماني: نقد السائس... ص 86.
93- نفسه... ص 63.
94- جاء ذلك في خطاب ألقاه على المهاجرين العامليين في أميركا، ونشرته مجلة العروبة، عدد 10، ص 395-397.
95- الحوماني: نقد السائس... ص 89.
96- الحوماني: المآسي... ص 42-43.
97- الحوماني: نقد السائس... ص 152.
98- الحوماني: الديوان... ص 73.
99- الحوماني: نقد السائس... ص 148.
100- مجلة العرفان، مجلد 46، ج4، ص 339.
101- الحوماني: نقد السائس... ص 72.
102- نفسه... ص 74.
103- نفسه... ص 105.
104- الحوماني: فلان... ص 68.
105- نفسه... ص 60.
106- نفسه... ص 74-75.
107- نفسه... ص 12.
108- الحوماني: النخيل... ص 23.